

سورة يس

هي مكية إلا قوله : « وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ » فمدنية .

وآيها ثلاث وثمانون ، نزلت بعد سورة الجن .

ووجه اتصالها بما قبلها :

(١) إنه لما جاء في السورة السالفة قوله : « وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ » وقوله : « وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ » وقد أعرضوا عنه وكذبوه — افتتح هذه السورة بالقسم بصحة رسالته وأنه على صراط مستقيم لينذر قوما ما أنذر آباؤهم .

(٢) إنه قال فيما قبلها « وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى » وقال في هذه : « وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا » وقال : « وَالْقَمَرَ قَدْرَ نَازَةٍ مَنَازِلَ » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْذَرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ

اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)
 إِنَّا نَحْنُ مُخَبِّرِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ
 فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)

شرح المفردات

(يس) تقدم الكلام في نظائره من الحروف للقطعة في أوائل السور، وأن الرأى
 الزجاج فيها أنها حروف تنبيه نحو ألا ويا، وينطق بأسمائها فيقال (ياسين) .
 روى عن ابن عباس أنه قال يس: أى يا إنسان بلغة طيء، والحكيم: أى
 ذى الحكمة، على صراط مستقيم: أى طريق قويم من عقائد صحيحة وشرائع حقة،
 حق: أى ثبت ووجب، الأغلال: واحدها غل، وهو ما يشده اليد إلى العنق
 للتعذيب والتشديد، والمقمح: الذى يرفع رأسه ويغض بصره .
 قال أبو عبيدة: يقال قح البعير: إذا رفع رأسه عن الخوض ولم يشرب، من بين
 أيديهم: أى من أمامهم، فأغشيناهم: أى فغطينا أبصارهم، والذكر: القرآن،
 وخشى الرحمن: أى خشى عقابه، بالغيب: أى قبل حلوله ومعاينة أهواله، ماقدّموا:
 أى ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة، وآثارهم: أى ما أبقوه بعدهم من
 الحسنات كعلم علموه، أو كتاب آثوره، أو بناء فى سبيل الله بنوه، أو من السيئات
 كفرس بذور الضلالات بين الناس، فى إمام مبین: أى فى أصل يؤتم به .

الإيضاح

(يس) والقرآن الحكيم. إنك لمن المرسلين. على صراط مستقيم) أى أقسم بالقرآن
 الحكيم الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنك أيها الرسول لمن المرسلين
 الذين هم على دين قديم وشرع مستقيم .

(تنزيل العزيز الرحيم) أى هذا الصراط المستقيم ، والدين القويم ، تنزيل من رب العزة الرحيم بعباده .

ونحو الآية قوله : « وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ » .

(لتنذر قوما ما أنذر آبائهم فهم غافلون) أى إنا أرسلناك لتنذر العرب الذين لم يأتهم نذير من قبلك ، فهم فى غفلة عن معرفة الشرائع التى فيها سعادة البشر ، وإصلاح المجتمع .

وذكرهم وحدهم هنا ؛ لأن الخطاب كان معهم ، وهذا لا يمنع أنه مرسل إلى الناس كافة كما قال : « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » .

(لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) أى لقد وجب العقاب على أكثرهم ، لأنه سبحانه سجل عليهم فى أم الكتاب أنهم لا يؤمنون به ولا يصدقون برسوله ، لما علم من خبث نفوسهم وسوء استعدادهم ، فلا تعمّر قلوبهم بالإيمان ، ولا تحبّبت لله فى أى زمان . ثم ضرب لهم مثلا فقال :

(إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون) أى إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى واصله إلى الأذقان ملصقة بها ، فهم من جِراء ذلك مقمحون أى مرفوعو الرؤوس ، إذ أن طوق الغلّ الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجا من الحلقة إلى الذقن ، فلا يمكنه من أن يطاقى رأسه فلا يزال مقمحا .

والمراد منعناهم بموانع عن الإيمان تشبه ما ذكر ، فهم غاضو أبصارهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطاقنون رؤوسهم له .

ثم أكد ما سبق وزاده بيانا وتفصيلا فقال :

(وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشىناهم فهم لا يبصرون) أى إنه زُيِّن لهم سوء أعمالهم وأعجبوا بأنفسهم واستكبروا عن اتباع الرسول وشيخوا بأنوفهم ولم يخضعوا لما جاءهم به وسدوا أبواب النظر عما ينفعهم ولم يقبلوا شيئاً سوى ما هم عليه ؛ فما مثاهم إلا مثل من أحاط به سدَّان من الأمام والخلف فحجباه عن النظر فهو لا يبصر شيئاً .

والخلاصة — إنهم محبوبسون في سجن الجهالة ، ممنوعون عن النظر في دلائل الأنفس ودلائل الكون ، محرومون عن التأمل فيما حل بمن قبلهم من الأمم الخالية والتفكير في العواقب المستقبلية .

ثم ذكر فذكرة لما تقدم فقال :

(وسواء عليهم ءأندرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أى وسواء على هؤلاء الذين حق عليهم القول ، إنذارك إياهم وتركه ، فإنه قد طبع الله على قلوبهم فهم لا يؤمنون ، إذ قد خبثت نفوسهم وساء استعدادهم وغشيت أبصارهم فلا تقدر على النظر في الدلائل المشاهدة ، ولا تستطيع التأمل في جمال الكون .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

ثم أعقب ذلك ببيان من يتأثر بالإنذار فقال :

(إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم) أى إنما ينفع إنذارك من آمن بالقرآن واتبع ما فيه من الأحكام وخشى عقاب الله قبل حلوله ومعاناة أهواله ، فإنه سبحانه عظيم الرحمة ، أليم العذاب كما قال : « نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ » .

فبشر هذا الذى اتبع أحكام الدين وخاف العقاب بمغفرة ما فرط منه من الزلات ، وأجر كريم ، ونعيم مقيم ، لا يستطيع وصفه مما لاعتين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ونحو الآية قوله : « إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ » .

ثم ذكر ما يؤكد الخشية من الله وخوف عقابه بقوله :

(إننا نحن نحبي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) أى إننا نحبي الموتى جميعا من قبورهم يوم القيامة ، ونكتب ما أسلفوا من عمل ، وتركوا من أثر حسن بعدهم كعلم علموه أو حبيس في سبيل الله وقفوه ، أو مستشفى لنفع الأمة أنشئوه ، أو أثر سيء كفرس الأحمق والأضفان ، وترتيب مبادئ الشر والعدوان بين الأنام .

روى ابن أبي حاتم عن جرير بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص من أوزارهم شيئا ، ثم تلا : وَنَكْتَبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ » والمراد من كتابة ذلك مجازاتهم عليه إن خيرا نخير، وإن شرا فشر .

ثم ذكر أن الضبط والإحصاء لا يخص أعمال بنى آدم ، بل يتناول جميع الأشياء فقال :

(وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين) أى وبيئنا كل شيء وحفظناه فى أصل عظيم يؤتم به ويتبع ولا يخالف ، وهو علمنا الأزلى القديم الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

ونحو الآية قوله : « عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى » وقوله : « وَكُلُّ شَيْءٍ قَعْلُوهُ فِي الزُّبُرِ . وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ » .

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقُرْآنِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم

مُرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ،
 إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦)
 وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا
 لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ،
 إِنَّنِ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
 يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا
 وَهُمْ يَهْتَدُونَ (٢١) وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢)
 ءَأَخَذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ
 شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذَا لِنَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ
 بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦)
 بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ .

شرح المفردات

ضرب المثل : يستعمل تارة في تشبيه حال غريبة بأخرى مثلها كما في قوله :
 « ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحٍ » الآية ، ويستعمل أخرى في ذكر
 حال غريبة وبيانها للناس من غير قصد إلى تشبيهها بحال أخرى نحو قوله : « وَضَرَبْنَا
 لَكُمْ الْأَمْثَالَ » أى وبيّنا لكم أحوالا غاية في الغرابة كالأمثال ، والقرية : هى
 أنطاكية كما روى عن قتادة وعكرمة ، والمرسلون : هم رسل عيسى من الحواريين ،
 فرزنا : أى فقوتنا وشددنا ، البلاغ المبين : أى التبليغ الواضح الظاهر للرسالة ،

تَطَيَّرْنَا: أى تشاء منا ، نترجمكم : أى نرؤينكم بالحجارة ، طائرکم : أى سبب شوؤمکم مسرفون : أى مجاوزون الحد فى العصيان ، أقصى المدينة : أى أبعد مواضعها ، يسعى : أى يمدو ويسرع ، لاتفنن : أى لاتنفع ، ولا يتقدون : أى لا يخلصونى .

المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن هؤلاء للمشركين قد ختم الله على قلوبهم فهم لا يؤمنون — أردف ذلك بذكر مثل لقوم حالهم كحالهم فى الغلو فى الكفر والإصرار على التكذيب والاستكبار على الرسل وحم الأذان عن سماع الوعظ والإرشاد ، وهم أهل قرية أنطاكية ببلاد الشام ، فقد كان قصصهم مع رسل الله كقصص قومك معك فى العناد والاستكبار والعتو والظنيان .

الإيضاح

(واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) أى واجعل أصحاب قرية أنطاكية مثلا لهؤلاء القوم إذ أصروا على تكذيب الرسل الذين أرسلوا إليهم كما أصر قومك على تكذيبك عنادا واستكبارا .

والشهور لدى المفسرين ومنهم قتادة وغيره أن الرسل هم رسل عيسى عليه السلام من الخواريين بعثهم إلى أهل أنطاكية ، وكان منهم ما قصه الله علينا فى كتابه . ويرى ابن عباس واختاره كثير من جلة العلماء أن الرسل هم رسل الله أرسلهم ربه عيسى عليه السلام مقررين لشريعته كهرون لموسى عليه السلام ، ويؤيد ذلك :

- (١) قولهم (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون . وما علينا إلا البلاغ المبين) .
- (٢) إنهم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم : (إن أنتم إلا بشر مثلنا) .
- (٣) إن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم ، فقد كانوا أول أهل مدينة آمنت بالمسيح ومن ثم كانت إحدى المدن الأربع اللاتى فيها بطارقة ، وهن القدس

وأنطاكية والإسكندرية ورومية ، لأنها مدينة الملك قسطنطين الذى نصر دينهم ووطده ، ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البطريق من رومية إليها .

ثم فصل ما تقدم وزاده بيانا فقال :

(إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فمزنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون) أى حين أرسلنا إليهم رسولين من عندنا فأسرعوا فى تكذيبهما فقويناهما وشددنا أزرها برسول ثالث فقالوا لأهل القرية : إنا إليكم مرسلون من ربكم الذى خلقكم بأن تخلصوا له العبادة وتبوءوا مما تمبدون من الآلهة والأصنام .

والمشهور أن الرسولين الأولين كانا يوحنا وبؤس والرسول الثالث شمعون .

ثم ذكر شبهة كثيرة ما تمسك بها المكذبون للرسل من الأمم الماضية .

(قالوا ما أتمم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شىء إن أتمم إلا تكذبون) أى قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا إليهم : ما أتمم إلا بشر مثلنا من غير مزية داعية لاختصاصكم بما تدعون ، وما أنزل الرحمن إليكم رسالة ولا كتابا ولا أمرم فينا بشىء ، ما أتمم إلا كاذبون فى قبيلكم إنا مرسلون إليكم .

وفى قولهم « ما أنزل الرحمن » إيماء إلى أنهم يعترفون بالألوهية لكنهم ينكرون

الرسالة ويتوسلون بالأصنام . وحينئذ رد عليهم الرسل مؤكدين رسالتهم .

(قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) أى فأجابهم الرسل قائلين : الله يعلم إنا رسله

إليكم ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام ، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم

وستعلمون لمن تكون عقبى الدار ؟ .

ونحو الآية قوله : « قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَقْلُمُ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ

الْمُتَحَسِّرُونَ » .

ثم ذكر الرسل ما أمروا به فقالوا :

(وما علينا إلا البلاغ المبين) أى إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم ، فإن أطعتم رحمتكم وكانت لكم سعادة الدارين ، وإن لم تجيبوا فستعلمون عاقبة تكذيبكم حين يحيق بكم الوبال والنكال .

والتبليغ المبين إنما يكون إذا اصطحب بالآيات الباهرة ، والمعجزات الدالة على أنهم رسل من عند الله .

والخلاصة — ما علينا من جهة ربنا إلا التبليغ المعزز بالآيات البينات وقد فعلنا . فأى شيء تطلبون منا حتى تصدقوا دعوانا ؟ .

ولما ضاقت بهؤلاء المكذبين الخيل وأعييتهم الحجج لجئوا إلى التهديد والوعيد . (قالوا إنا نظيرنا بكم لمن لم تنتهوا لرجنكم ولئسنا منا عذاب أليم) أى قالوا إنا نشاء منا من تبليغكم ودعوتكم ، فقد افتتن بعض القوم بكم وتفرقت كلمتنا وانقرط عقد وحدتنا ، ولئن لم تنتهوا عن بث هذه الدعوة بيننا لرجنكم بالحجارة رجما ولئسنا بكم شر التمثيل أو لنعذبكم عذابا شديدا وأتم أحياء .

والخلاصة — إنا إما نقتلكم أو نلقيكم فى غيابات السجون ونشكل بكم تنكيلا عظيما .

حينئذ أجاوبهم الرسل :

(قالوا ظأركم معكم) أى قالوا لهم سبب شؤمكم من أفعالكم لا من قبلنا كما ترعون ، فأنتم أشركتم بالله سواء وأولعتم بالمعاصى واجترحتم السيئات ، أما نحن فلا شؤم من قبلنا ، فإنا لاندعو إلا إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له والإجابة إليه ، وفى ذلك منتهى البين والبركة .

(أئن ذكركم بل أنتم قوم مسرفون) أى أمن جراء أنا ذكرناكم وأمرناكم بعبادة الله مخلصين له الدين تفابلوننا بمثل هذا الوعيد ؟ ، بل أنتم قوم ديدنكم الإسراف ومجاوزة الحد فى الطغيان ، ومن ثم جاءكم الشؤم ولادخل لرسول الله فى ذلك .

والخلاصة -- أتم قوم مسرفون في ضلالكم متادون في غيكم تتشاءمون بمن
يجب التبرك بهم من هداة الدين ، فقد جعلتم أسباب السعادة أسبابا للشقاء .
ولا يخفى ما في ذلك من شديد التوبيخ وعظيم التهديد والتنبيه إلى سوء صنيعهم
بحرمانهم من الخيرات ، ونحو الآية قوله تعالى حكاية عن قوم فرعون « فَإِذَا جَاءَتْهُمْ
الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، أَلَا إِنَّمَا طَأَّثُكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ »

ثم أبان أن الحق لا يعدم نصيرا وأن الله يقبض له من يدافع عنه فقال :

(وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من
لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) أى وجاء من أطراف المدينة رجل يعدو مسرعا لينصح
قومه حين باعهم أنهم عقدوا النية على قتل الرسل فتقدم للذب عنهم ابتغاء وجه الله
ونيل ثوابه ، قال يا قوم اتبعوا رسل الله الذين لا يطلبون منكم أجرا على تبليغهم
ولا يطلبون علوا في الأرض ولا فسادا ، وهم سالكون طريق الهداية التي توصل إلى
سعادة الدارين .

روى أن هذا الرجل يسمى حبيبا ، وكان نجارا ، قال ابن أبي ليلى : سابقو
الأمم ثلاثة لم يكفروا قط طرفة عين : على بن أبي طالب ، وصاحب يس ، ومؤمن
آل فرعون . ورواه الزمخشري حديثا ، وقال ابن كثير إنه حديث منكر .

ثم أبان لهم أنه ما اختار لهم إلا ما اختاره لنفسه فقال :

(وما لى لأعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون ؟) أى وما يمنعنى من إخلاص
العبادة للذى خلقنى ، وإليه المرجع للجزاء يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم إن خيرا
فخير ، وإن شرا فشر .

وفى هذا تفرغ لهم بتركهم عبادة الخالق وعبادة غيره ، وتهديد بتخوينهم
بالرجوع إلى شديد العقاب .

ثم أعاد التوبيخ مرة أخرى مبينا عظيم حَقِّهم فقال :

(أأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يَرِدُنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَاتُنْفِئُنِي عَنْ شَفَاعَتِهِمْ شَيْئًا وَلَا يَنْقُذُونِ ؟) أَيُّ أَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَاتَمْلِكُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا ، وَهُوَ لَوْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَلَا تَمْلِكُ الْآلِهَةُ دِفْعَهُ عَنِّي وَلَا مَنَعَهُ .

(إني إذا نفي ضلال مبين) أَيُّ إني إذا فعلت ذلك واتخذت من دونه آلهة نفي ضلال بين لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل ، فإن إشارك من لا يخلق وليس من شأنه النفع والضرر بمن يخلق وهو القادر على كل شيء - خطأ ظاهر وغلط واضح لدى أرباب الأحلام وذوى الحجج .

ثم التفت إلى الرسل وخاطبهم منيبا إلى ربه فقال :

(إني آمنت بربكم فاسمعون) أَيُّ إني آمنت بربكم الذى أرسلكم فاشهدوا لى بذلك عنده .

روى أنه لما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يجد من يدافع عنه . قال قتادة : جعلوا يرحمونه بالحجارة وهو يقول : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ، فلم يزالوا به كذلك حتى فارق الحياة .

ثم ذكر مآل أمره وما قاله حين وجد النعيم والكرامة ، فقال :

(قيل ادخل الجنة ، قال يا ليت قومي يعلمون . بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) أَيُّ قَالَ اللَّهُ لَهُ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ كِفَاءً مَا قَدِمْتَ مِنْ عَمَلٍ وَأَسَلَفْتَ مِنْ إِحْسَانٍ ، فَلَمَّا دَخَلَهَا وَعَايَنَ مَا أُكْرِمَهُ اللَّهُ بِهِ لِإِيمَانِهِ وَصَبْرِهِ قَالَ : لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا أَنَا فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ وَخَيْرِ عَمِيمٍ لِإِيمَانِي بِرَبِّي وَتَصَدِيقِي بِرَسُولِهِ وَصَبْرِي عَلَى أَذَى قَوْمِي ، وَإِيمَانِي عِلْمَ قَوْمِهِ بِحَالِهِ لِيَحْمِلَهُمْ ذَلِكَ عَلَى اكْتِسَابِ الْمُثُوبَةِ مِثْلَهُ بِالتَّوْبَةِ عَنِ الْكُفْرِ وَالدَّخُولِ فِي حَظِيرَةِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ اتِّبَاعًا لِسُنَنِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ يَكْظُمُونَ الْغَيْظَ وَيَتْرَحُونَ عَلَى الْأَعْدَاءِ .

قال ابن عباس : نصح قومه حيا بقوله : (يا قوم اتبعوا المرسلين) وبعد مماته بقوله : (يا ليت قومي يعلمون . بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) .

وإلى هنا وقف القلم فى تفسير هذا الجزء من الكتاب الكريم . وكان الفراغ منه بمدينة حلوان من أرباض القاهرة قاعدة الديار المصرية فى اليوم الثامن عشر من شعبان سنة أربع وستين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية .
والحمد لله على إحسانه وإنعامه ، وصلّ ربنا على محمد وآله الطيبين الأخيار وصحبه الأبرار .

فهرس

أهم المباحث العامة التى فى هذا الجزء

الصفحة	المبحث
٣	مضاعفة ثواب أمهات المؤمنين رضى الله عنهن .
٥	مكاتبهن بين النساء وأمرهن بالقرار فى البيوت .
٧	من هم أهل البيت ؟ .
٨	ما أعدده الله للمسلمين والمسلمات من الأجر والكرامة فى الدار الآخرة .
٩	الأوصاف التى يستحق بها عباده الثواب العظيم .
١٠	أى المجاهدين أعظم لله أجراً ؟ . ١١ قصة زينب بنت جحش .
١٢	الحكمة فى زواجه صلى الله عليه وسلم بها .
١٥	ما كانت تفخر به زينب على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم .
١٦	أبوة محمد صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أبوة تعظيم وإجلال .
١٧	أولاد النبى عليه الصلاة والسلام .
١٩	أمره عليه الصلاة والسلام باحتفال أذى المشركين وبالتوكل عليه .
٢٠	لاعدة للمطلقة قبل الدخول .
٢٣	بعض خصائص النبى صلى الله عليه وسلم فى الزواج .
٢٥	تخييره صلى الله عليه وسلم فى مضاجعة من شاء من نسائه .
٢٦	نهيته صلى الله عليه وسلم عن زواج غير الموجودات معه ، وعن استبدال غيرهن بهن . ٢٧ آية الحجاب وما فيها من أحكام وآداب .
٢٨	النهى عن إزعاج النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان فى الخلوة .
٢٩	يحرم المبيت على المدعو إلى طعام بعد أن يطعم إذا كان فى ذلك أذى لرب البيت .

الصفحة	المبحث
٣٠	قال عمر : وافقت ربي في ثلاث .
٣١	منع المؤمن عن نكاح أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .
٣٣	احترام النبي صلى الله عليه وسلم في الملأ الأعلى والملأ الأدنى .
٣٥	من نسب إلى مؤمن أو مؤمنة ما لم يعملها فقد اجترح إثمًا عظيمًا .
٣٧	أمر النساء بالتستر وإرخاء الجلابيب صيانة لمن عن الأذى .
٣٨	توعد الله أصنافًا ثلاثة : بالقتال ، والقتل ، أو النفي من الديار .
٤١	ندم المشركين يوم القيامة وتمنيهم أن لو كانوا أطاعوا الله .
٤٤	الأقوال والأفعال التي تكون سبب الفوز العظيم .
٤٦	فعل التكليف الشرعية وسيلة الظفر والفلاح .
٤٧	أسباب تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم . ٤٨ الأسباب العامة لذلك .
٤٩	الأسباب الخاصة بزواج كل واحدة من أمهات المؤمنين .
٥٢	أسباب إباحة تعدد الزوجات في الإسلام .
٥٣	ما حوته سورة الأحزاب من أغراض ومقاصد .
٥٥	وجه اتصال سورة سبأ بما قبلها .
٥٦	شمول علمه تعالى لكل ما في السموات والأرض .
٥٧	إثبات البعث والجزاء . ٥٨ الحكمة في البعث والجزاء .
٥٩	أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يعتقدون قيامها ومجيئها .
٦٠	ما قاله المشركون على سبيل التهمك من قال بالبعث .
٦١	ادعائهم أن هذه المقالة لا يقولها إلا مفتر أو مجنون .
٦٢	تنبيههم إلى ما يرون من آثار قدرته تعالى .
٦٣	ما آتى الله داود من فضل ونعمة . ٦٤ تسخير الريح لسليمان .
٦٦	تسخير الجن . ٦٧ الأرضة دلت على موت سليمان عليه السلام .

المبحث	الصفحة
عقاب المعرضين عن شكر النعم . ٧١ . سد مأرب — سدّ العریم .	٧٠
الكشف الحديث دل على صدق ما جاء فى القرآن .	٧٢
النعم التى أوتيتها السبئيون .	٧٣
عقاب أهل سبأ باتباعهم لوسوس الشيطان .	٧٤
ظغيانهم فى الأرض وإفسادهم إلا قليلا منهم .	٧٥
تأنيب قريش على عبادتها الأوثان والأصنام .	٧٦
الشفاعة لا تنفع إلا لمن أذن الله له بها .	٧٨
أمر الرسول بأن يقول للمشركين : على إجرامى وعليكم إجرامكم ، والحاكم بيننا هو الله .	٧٩
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة للأسود والأحمر .	٨٢
استعجال المشركين للعذاب تهكما وازدراء .	٨٣
إنكار المشركين للقرآن والكتب التى قبله .	٨٤
الحوار الذى بين المشركين ومعبوديتهم يوم القيامة .	٨٥
تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم على إنكار مترفى قومه له ، وبيان أنهم ليسوا بيدع فى ذلك .	٨٦
سعة الرزق لا تدل على رضا الله عن المرء ولا غضبه عليه .	٨٨
العمل الصالح مع الإيمان هو الزانق عند الله .	٨٩
فى الحديث : « اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وعمسكاً تلقاً » .	٩٠
أكثر المشركين مؤمنون بالجن مصدقون لهم فيما يقولون .	٩١
قال المشركون : القرآن إفك مفترى وإنه سحر بين .	٩٤
مارد به سبحانه على هذه المقالة .	٩٥
طالب الله الكفار بالترث فى هذا الحكم ليعلموا الحق .	٩٦
سبب نزول الآية (تبت يدا أوى لذب) .	٩٧

الصفحة	المبحث
٩٨	العدة بنشر الإسلام وتبليج نوره .
٩٩	« إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميماً » الحديث .
١٠١	أنى لهم الإيمان يوم القيامة وقد كفروا من قبل؟ .
١٠٤	الأجنحة - في العالم المادى تساعد على الطيران ، وفي عالم الأرواح ترشد إلى القدرة .
١٠٥	ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة و بعد الرفع من الركوع .
١٠٦	الأمر بذكر النعم والشكر عليها .
١٠٧	تسليية الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ليس ببدع بين الرسل .
١٠٩	لحزب الشيطان العذاب الشديد ولحزب الله المغفرة .
١١٠	ضرب المثل على تحقق البعث والنشور .
١١٣	لمن سعى في ضعف الإسلام عذاب شديد والله يحبط عمله .
١١٤	الآجال والأعمار أحصاها الله في كتاب .
١١٥	البراهين الدالة على الوحدانية والقدرة .
١١٧	النهي على المشركين في عبادة الأصنام والأوثان .
١١٨	من أصول الدين أن لا تزر وازرة وزر أخرى .
١١٩	البشارة والإنذار إنما تجدى نفعاً لدى من يخشى الله .
١٢٠	تسليية الرسول عن عدم قبول المشركين دعوته .
١٢١	لم يترك الله أمة سدى بلا نذير . ١٢٣ الهداية والتوفيق بيد الله سبحانه .
١٢٤	قومك ليسوا ببدع في الأمم . ١٢٥ الاعتبار بالآيات الكونية .
١٢٦	لا يعلم بديع صنع الله إلا العالم بأسرار الكون .
١٢٨	الذين يتبعون أحكام الدين لهم تجارة لن تبور .
١٢٩	القرآن الكريم مصدق لما بين يديه من الكتب السماوية .

الصفحة	المبحث
١٣٠	المؤمنون أقسام ثلاثة .
١٣١	المؤمنون حين يدخلون الجنة يقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن .
١٣٢	الكافرون يوم القيامة يطلبون العودة إلى الدنيا ليعملوا صالحاً .
١٣٣	ما أوجبوا به عن هذا الطلب . ١٣٤ علم الله تعالى محيط بجميع الأشياء .
١٣٦	تبكيت المشركين على عبادة الأوثان .
١٣٧	نظام الجاذبية .
١٣٩	إنكارهم لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا مترقبين لها .
١٤٠	تهديد المشركين بحلول العقاب كما حل بمن قبلهم .
١٤١	تنبيههم إلى آثار الغابرين الذين خلوا من قبلهم .
١٤٢	لويؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة .
١٤٣	يحمل ما حوته سورة فاطر من حكم وأحكام .
١٤٤	وجه اتصال سورة يس بما قبلها .
١٤٥	المراد بيباسين .
١٤٦	جعل الأغلال في عنق أهل النار .
١٤٧	لا فائدة في إنذار هؤلاء المشركين .
١٤٨	من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده .
١٤٩	ضرب المثل بأهل أنطاكية .
١٥٠	من رسل الله الذين أرسلوا إلى أهل أنطاكية ؟ .
١٥١	مقالة أهل القرية للرسل .
١٥٢	ما ردّ به الرسل عليهم .
١٥٣	الحق لا يعدم نصيراً .
١٥٤	مآل أمر ذلك الواعظ .